

358427 - هل وردت أحاديث أن بعض الذنوب تمحو عبادة الإنسان السابقة؟

السؤال

سمعت بعض الشيوخ يتحدثون عن العقاب الإلهي يوم القيامة لمرتكبي المعاصي، وسمعتهم يسردون أحاديث حول كون بعض الذنوب تمحي عبادة سبعين أو مائة سنة، فكيف يسلم المسلم من هكذا عقاب علما أنه حتى ولو عاش مائة سنة فإن عبادته لن تساوي ذلك القدر؟ كيف تحل المغفرة الإلهية في هكذا موضع؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً :

منهج أهل السنة والجماعة في فهم نصوص الوعد والوعيد

لأهل السنة والجماعة منهجٌ في فهم نصوص الوعد والوعيد، وهو أن نصوص الوعد فضل من الله، وأن الله لا يخلف وعده ، وأن نصوص الوعيد تجعل العاصي تحت المشيئة إن شاء الله عذَّبه وإن شاء عفا عنه.

"فالوعد يكون بالمغفرة والرضوان، والتكريم ودخول الجنان ونحو ذلك من أنواع الثواب.

والوعيد يكون إما بلعنة أو غضب أو دخول نار ... وغير ذلك من أنواع العقاب.

قال الله تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْكَافِرَاتِ نَارَ جَهَنَّمَ) التوبة/68.

وقال سبحانه: (وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) التوبة/72.

وقال تبارك وتعالى: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا) التوبة/111.

وقال سبحانه: (فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ) ق/45.

ومما أنعم الله تعالى به على عباده، أنه سبحانه قد أخبر أن من وعده على عملٍ صالحٍ فهو منجز له، فلا يخلف الله وعده تكريماً

وتفضلاً، قال الله تعالى: (لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ) الروم/6.

وقال سبحانه وتعالى: (وَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصِّدِّقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ) الأحقاف/16.

وأما الوعيد في حق عصاة المؤمنين فهو تحت مشيئة الله تعالى، فقد يقع هذا الوعيد جزاءً وعدلاً، وقد يختلف هذا الوعيد في حق بعض العصاة لانتفاء شرط أو وجود مانع"، انتهى .

"الموسوعة العقدية" - الدرر السنية (7/2)، بترقيم الشاملة آليا.

يقول ابن أبي زمنين: " وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ : أَنَّ الْوَعْدَ فَضَّلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَنَعَمْتُهُ، وَالْوَعِيدَ عَدْلُهُ وَعُقُوبَتُهُ، وَأَنَّهُ جَعَلَ الْجَنَّةَ دَارَ الْمُطِيعِينَ بِلَا اسْتِثْنَاءٍ، وَجَهَنَّمَ دَارَ الْكَافِرِينَ بِلَا اسْتِثْنَاءٍ، وَأَرْجَى لِمَشِيئَتِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْعَاصِينَ مَنْ شَاءَ؛ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ، وَلَا يُسْأَلُ عَن فِعْلِهِ، وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ، فِيمَا وَعَدَ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُطِيعِينَ: (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ).

وَقَالَ فِي الْعُصَاةِ وَالْكَافِرِينَ: (وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ)، وَقَالَ: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا)، وَقَالَ: (وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا * يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا * أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا).

وَقَالَ فِي الْمُرْجِينَ لِمَشِيئَتِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ)، وَقَالَ: (رُبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَاءُ يَرْحَمُكُمْ أَوْ إِنَّ يَشَاءُ يُعَذِّبُكُمْ).

فَوَعْدُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُطِيعِينَ صِدْقٌ، وَوَعِيدُهُ لِلْكَفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ حَقٌّ، وَمَنْ مَاتَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مُصِرًّا عَلَى ذَنْبِهِ فَهُوَ فِي مَشِيئَتِهِ وَخِيَارِهِ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَنْسُوَ عَلَى اللَّهِ فِي عِلْمِ غَيْبِهِ .. فَيَقُولُ: أَبَى رَبُّكَ أَنْ يَغْفِرَ لِلْمُصْرِيْنَ، كَمَا أَبَى أَنْ يُعَذِّبَ الْأَتَابِيْنَ؛ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا، سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ).

"أصول السنة" لابن أبي زمنين (ص/256-257).

ثانياً :

الحسنات لا تحبط حبوياً عاماً بالذنوب دون الشرك

من أصول أهل السنة والجماعة : أن الحسنات لا تحبط حبوياً عاماً بذنوب دون الشرك، فهو الذي يبطل ما عمل العبد من حسنة، إذا مات عليه . قال الله تعالى: **وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ المائدة/5** ، وقال تعالى: **إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ المائدة/72**.

وأما ما سوى الشرك من السيئات: فإنه، وإن كان لا يحبط الحسنات عامة، كما يقوله أهل البدع من الخوارج والمعتزلة، إلا أنه قد يحبط من الحسنات ما يحبطه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله: "

" المعتزلة لهم أصل فاسد وافقوا فيه الخوارج في الحكم، وإن خالفوهم في الاسم ؛ فقالوا: إن أصحاب الكبائر يخلدون في النار، ولا يخرجون منها بشفاعاة ولا غيرها .

وعندهم يمتنع أن يكون الرجل الواحد ممن يعاقبه الله ثم يثيبه؛ ولهذا يقولون: بحبوط جميع الحسنات بالكبيرة.

وأما الصحابة وأهل السنة والجماعة : فعلى أن أهل الكبائر يخرجون من النار ، ويشفع فيهم ، وأن الكبيرة الواحدة لا تحبط جميع الحسنات؛ ولكن قد يحبط ما يقابلها عند أكثر أهل السنة ، ولا يحبط جميع الحسنات إلا الكفر ، كما لا يحبط جميع السيئات إلا التوبة .

فصاحب الكبيرة إذا أتى بحسنات يبتغي بها رضا الله : أثابه الله على ذلك ، وإن كان مستحقاً للعقوبة على كبريته. وكتاب الله عز وجل يفرق بين حكم السارق والزاني وقتال المؤمنين بعضهم بعضاً ، وبين حكم الكفار في " الأسماء والأحكام " . والسنة المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وإجماع الصحابة يدل على ذلك ، كما هو مبسوط في غير هذا الموضوع. " انتهى من "مجموع الفتاوى" (10/321-322).

وينظر للفائدة: جواب سؤال: (هل تحبط الكبائر الأعمال الصالحة؟).

ثالثاً:

لم يثبت أن هناك بعض المعاصي تحبط العمل الصالح لعدد من السنين

لم نقف على حديث صحيح، من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، في حق معصية معينة أنها تحبط عمل كذا وكذا من السنين، لا ستين، ولا سبعين، ولا أكثر، ولا أقل. وإن كانت قد وردت في ذلك بعض آثار عن السلف الصالح، إلا أن ذلك لم يثبت من كلام المعصوم صلى الله عليه وسلم.

إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ (114) وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ هود/112-115.

وعن أبي هريرة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ - أَوِ الْمُؤْمِنُ - فَغَسَلَ وَجْهَهُ: خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ، مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ - ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ: خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَتْ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ، مَعَ الْمَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ - ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ: خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَسَّتْهَا رِجْلَاهُ، مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ - حَتَّى يَخْرُجَ نَفِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ رواه مسلم (244).

وينظر جواب السؤال رقم:(163383)، ورقم:(13693).

والله أعلم.